القيم بين الإسلام والجاهلية خصائصها وأثرها في الواقع (دراسة تحليلية)

Values between Islam and Jahiliyyah (the Age of Ignorance) its Characteristics and Impact on Reality (An Analytical Study)

Dr. Khalil ur Rehman
Assistant Professor, Department of Da`wah and Islamic Culture,
International Islamic University, Islamabad
Email: Khalil- rehman@iiu.edu.pk

Masoom
PhD research scholar, Department of Da`wah and Islamic Culture,
International Islamic University, Islamabad
Email: mohsenamiem@gmail.com

ISSN (P):2708-6577
ISSN (E):2709-6157

Abstract:

There is no doubt that the religion which pleases God Almighty is Islam, and what distinguish Islam from other intellectual systems is the values. The study of Islamic values and the values of the Jahiliyyah (the days of ignorance) is of great importance in this era. Westerners are promoting their values in Islamic countries, and they claim the superiority of their values to Islamic values, but it will be clear from my study that Islamic values are superior, stable and flexible, and that they can bring happiness to human, and guarantee a good life. This comprehension will be only possible after knowing the concept of values, the characteristics of Islamic values and Western values, and what follow them from practical results in human life. After we understand well the superiority of our values, we can leave the defensive situation that the West often puts us in, and be assured of what God has given us from religion and wisdom.

Keywords*: religion, values, Jahiliyyah, characteristics*

المقدمة

لا شك أن القيم السامية ركن ركين، وجزء أصيل من الحضارة الإسلامية، حيث إنها لا تنبني على المادية البحتة، والمظاهر الحضارية الآلية، ولا على العقيدة فحسب، بل لا بد في تكوينها من القيم الأخلاقية، والإنسانية. هذا الأمر يميز الحضارة الإسلامية عن كثير من الحضارات التي ألقت بجذورها على البسيطة، حيث إن معظمها تبنى على المادية البحتة، والمنافع الزائلة، أما القيم والعقيدة لا تكاد تشرق إلا بعضَ جوانبها، أو ينطمس نورُ وجودها، فإدراك هذا الجانب العظيم مهم جدا لفهم ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

ثم هناك عدة أهداف ومقاصد يضعها الباحث في بؤرة اهتمامه أثناء البحث، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1. الوصول إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح القيم، وجذوره في اللغة العربية.
2. معرفة خصائص القيم الإسلامية والقيم الجاهلية والفرق بينهما.
3. النتائج العملية التي تترتب على خصائص القيم الإسلامية والقيم الجاهلية.

خطة البحث: إن هذا البحث يشتمل على مقدمة في الاصطلاحات الواردة في العنوان وثلاثة مباحث، المبحث الأول في أبرز خصائص القيم الإسلامية، والمبحث الثاني في خصائص القيم الجاهلية، والمبحث الثالث في القيم الإسلامية والقيم الجاهلية وأثرها في الواقع.

أولا: القيم لغة

القيم جمع القيمة وتطلق هذه الكلمة في اللغة العربية على ما يلي:

1. قيمة الشيء وثمنه، جاء في لسان العرب: "القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم"[1].
2. الثبات والاستمرار، فقد جاء في القاموس: "والقيمة، بالكسر: واحدة القيم. وما له قيمة: إذا لم يدم على شيء"[2].
3. نظام الأمر وعماده: "القيام والقوام: اسم لما يقوم به الشيء. أي: يثبت، كالعماد والسناد: لما يعمد ويسند به"[3].
4. الاستقامة والاعتدال، جاء في القاموس أيضا: "قومت السلعة واستقمته: ثمنته. واستقام: اعتدل. وقومته: عدلته، فهو قويم ومستقيم"[4].

ولعل أقرب ما ذكرنا من المعاني اللغوية إلى موضوع البحث هو المعنى الثاني أعني الثبات والاستمرار على الشيء، لأن الإنسان يحافظ على الأمر الثابت ويداوم على مراعاته في جميع شؤونه.

ثانيا: مفهوم القيم اصطلاحا

تعددت تعريفات القيم من الناحية الاصطلاحية بين علماء المسلمين والغربيين المعاصرين بحسب اختلافهم في التفكير والاعتقاد والسلوك، ثم اختلف كل فريق منهما فيما بينهم ، فعرفوه بعدة تعريفات:

أ: المفهوم الاصطلاحي للقيم في الإسلام

1. "مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية"[5].
2. القيم عبارة عن "مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه"[6].
3. "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"[7].

من خلال هذه التعريفات للقيم يمكن لنا أن نستنتج هذه الأمور:

1. منبع القيم في الإسلام هي الشريعة الإسلامية.
2. القيم هي التي تحدد تفكير المسلم في حياته العقدية والاجتماعية والسلوكية.
3. أنها المعيار الذي تعرف به قيمة الأشياء وقدرها سواء كانت مادية أم معنوية.
4. أنها الميزان الذي توزن به شؤون الحياة الفردية والاجتماعية ويتحدد من خلالها جميع الأعمال البشرية ؛ فيتميز بها المجتمع الإسلامي عن غيره.

المفهوم الاصطلاحي للقيم في الفكر الغربي

اختلفت آراء المفكرين الغربيين في تعريف القيم اختلافا كثيرا، وبعضهم يخبر عن غموض هذا المفهوم عندهم. قال رالف بارتن بيري[8]: "والحقيقية أنه لا يوجد للقيمة معنى ثابت عام"[9].

ولا شك أن هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف المدارس والمذاهب والتخصصات، فكل من انتمى إلى مذهب أو مدرسة علمية أو تخصص، اختار تعريفا خاصا من وجهة نظره، فنحن نعرض أشهر هذه التعريفات ثم نختار من بينها ما هو الراجح منها:

1- **القيم في المجال الاقتصادي:** "قيمة التبادل"؛ والقيمة بهذا المعنى يقصد بها السعر المقدر للسلعة . ومع ذلك يميز بين القيمة والسعر على أساس أن القيمة حقيقية ، بينما السعر اعتباري (conventional) بحسب التراضي بين المتبادلين للسلعة ، ولهذا قد تكون أكبر أو أقل من السعر[10].

2- **تعريف القيم في المجال السياسي:** هي "المقاييس أو المبادئ التي يمكن الاختيار من خلالها بين البدائل في مجرى العقل، بمعنى آخر: إنها العامل المعياري في تحديد الفعل"[11].

3- **القيم في مجال علم النفس:** قد اختلف علماء النفس في تعريف القيم ومن أجمع ما عرف به ما يلي: أنها "ذلك الجانب من الدافعية الذي يشير إلى المعايير الشخصية والثقافية ، أو هي التوجه الاختياري نحو التجربة والذي يحتوي التزاما عميقا"[12].

4- **القيم في مجال علم الاجتماع والتربية:** "محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوؤها وعدم قيمتها وكراهيتها "[13].

التعريف المختار للقيم: وبعد دراسة هذه التعريفات والتعمق فيها، يتضح لنا أن في أكثرها تخبط واختلاف شديد وتباين وغموض ولكن مع ذلك يمكن أن نختار هذا التعريف الرابع ونعده من أجود ما قيل في تعريف القيم عند المفكرين الغربيين.

المبحث الأول: أبرز خصائص القيم الإسلامية

إن الإسلام بوصفه دينا عظيما جمع المحاسن والفضائل والمصالح التي تسبب في نجاح الإنسان في الدنيا والآخرة يتميز بخصائص عديدة تجعله فوق القيم الجاهلية بدرجات، وتعطي له مكانة مرموقة بين الأديان الأخرى، ولما كان الإسلام – مصدر القيم الإسلامية– دينا إلهيا، ومنهجا ربانيا أنزله الله سبحانه وتعالى إلى الرسل، ولم يرض فيه الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، والتبديع من قبل العباد، تنبع منه لكونه ربانيا وسماويا قيم تتميز بخصائص سامية، ومعالم رفيعة، سيشير الباحث في هذا البحث الوجيز إلى أهم تلك الخصائص والميزات.

أولا: قدسية القيم

للقيم الإسلامية صلة بذات الفرد، لأنها تنبع من اعتقاده وإيمانه فكلما ازداد إيمانه ورسخ اعتقاده، ازداد تمسكه بقيمه وكملت أخلاقه؛ فتمسك المسلم بالقيم الدينية دليل قوي على إيمانه، ولذا فإن التزام المسلم بالقيم الشرعية والاستمساك بها مظهر من مظاهر التعبد، وما دام المؤمن في عمل يرتضيه الله – تعالى– فهو في عبادة. أما القوانين الوضعية فليس لها مثل هذه الطاعة التي توجد في القيم الإسلامية.

ثانيا: خلود القيم و وضوحها

مما لا ريب فيه أن الإسلام هو الدين الباقي أصله من التحريف والتبديل، وذلك لأن الله –تبارك وتعالى– قد تكفل بحفظ مصادر الشريعة وأصولها من الكتاب والسنة على ممر الأزمان والدهور، فلم يتسرب التغيير والتحريف إلى ألفاظهما ومبانيهما.

والقرآن الكريم يدعو إلى التمسك بالقيم، وكذلك نصوص السنة النبوية واضحة في الدعوة إلى القيم، كما قال نبينا – ﷺ-:«بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[14]. ولهذه الخاصية نتائج ملموسة في قوة هذه القيم وثباتها ولها آثار واضحة على المجتمعات الإسلامية.

ثالثا: القيم الإسلامية مرتبطة بالجزاء الدنيوي والأخروي

يترتب على الالتزام بالقيم الإسلامية المثوبة والأجر و رضى الرب – سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة ، كما أن الإعراض عنها وانتهاكها يفضي إلى غضبه وعذابه الدنيوي والأخروي، وهذا بخلاف الجزاء في القوانين الوضعية، فهو دنيوي فقط.

رابعا: الشمول والعموم

إن القيم الإسلامية قد احتوت جوانب الحياة الإنسانية بجميع مجالاتها الروحية والجسمية، والفردية والاجتماعية، والدنيوية والدينية؛ فلكل جانب من الجوانب الإنسانية سواء كانت داخلية أم خارجية قيم، فعلى سبيل المثال: لكل واحد من الفكر والاعتقاد والقلب والنفس والسلوك قيم.

فمن قيم الفكر تحري الحقيقة بإنصاف وتجرد، والصبر على التفكير ، والبحث عن كل ما هو نافع ومفيد من الأفكار والمعارف، وترك النقائص والرذائل التي يجب على الإنسان أن يجتنبها ليتميز بالارتقاء فى سلم القيم الإسلامية العالية.

ومن قيم الاعتقاد أن لا يسمح الإنسان لنفسه بأن يتبع الأوهام والظنون الضعيفة ليجعلها فى معتقداته الثابتة الراسخة.

ومن قيم القلب حب الحق وحب الخير ، وكراهية الباطل والشر وعدم حمل الأحقاد والضغائن.

ومن قيم النفس الصبر والعفة ، ومجانبة الحسد، وعلو الهمة، وجود النفس وتسامحها وعفوها عن إساءة المسيء.

وقيم السلوك كثيرة وهي تعبير عما في داخل الإنسان من قيم، ويقابلها نقائص ورذائل يطالب الإنسان باجتنابها والبعد عنها وبهذا يتبين شمول القيم لكل الجوانب الإنسانية المختلفة[15].

وكما أن القيم الإسلامية شاملة لجميع جوانب الحياة البشرية، كذلك عامة تشمل جميع أفراد الأمة من عربى وأعجمى وأسود وأبيض فى جميع الأوضاع والأحوال، وفي مختلف الأمكنة والعصور بغير تفريق.

والقيم الإسلامية تنظر إلى كل الناس بدون تفريق، فلايفرق بين المسلم وغيره في القيام بالعدل، فبناء على ذلك العدل واجب تجاه المسلم وغير المسلم، والعدوان والظلم والسرقة حرام تجاه المسلمين وغيرهم، قال الله – تبارك وتعالى- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[16]. قال الإمام الرازي: "لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساؤوا عليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم، فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا إلا على سبيل العدل والإنصاف، وترك الميل والظلم والاعتساف"[17].

خامسا: الملاءمة للفطرة

القيم في الإسلام ملاءمة للفطرة والطبيعة البشرية؛ لأنها تقوم على أساس هو القرآن الكريم والسنة النبوية وهما ملائمان للفطرة البشرية ، قال –سبحانه وتعالى-: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[18].

سادسا: القيم الإسلامية والواقعية

القيم في الإسلام تتصف بالواقعية، فهي ليست من قبيل الخيال المحض حتى لا يمكن تحققها في ميدان الحياة البشرية، وإنما هي حقيقية تتوافق مع الواقع وتلائم طبيعة الإنسان، فالقيم في الإسلام مرغوب فيها تشمل على صفات مثل المروءة والحياء والإيثار والتواضع وغيرها من الصفات التي يميل الإنسان بطبعه إليها، فبناء على ما ذكرنا فإن القيم الإسلامية واقعية ممكنة التطبيق في الحياة الإنسانية في كل الأمكنة والأزمنة.

المبحث الثاني: أبرز خصائص القيم الجاهلية

ومما يجب أن يعلم أنه لا فرق بين الجاهلية الأولى التي كانت قبل ظهور دين الإسلام، والجاهلية المعاصرة إلا في الأشكال والصور، وأما في الحقيقة فكلتاهما واحدة.

قال الأستاذ السيد مُحَمَّد قطب: "تاريخ البشر كله على الأرض لا يخرج عن أحد هذين الوضعين: الهدى أو الضلال.. الإسلام أو الجاهلية! ويتطور البشر على الأرض تطورات شتى... يتطورون بالمعنى الحقيقي المستقيم للكلمة، أي أنهم ينمون وينضجون ويتكاملون... أو يتطورون بالمعنى الزائف المنحرف، أي ينحرفون عن سواء السبيل[19]. ويتخذون في تطورهم هذا وذلك " صوراً " شتى... لكنهم في كل تطوراتهم، وفي كل الصور التي يتخذها تطورهم، لا يخرجون عن وضعين اثنين لا يوجد لهما ثالث: إما الهدى وإما الضلال.. إما الإسلام وإما الجاهلية! ومن ثم ينتفي – في وضوح – أي ارتباط بين الجاهلية وبين الزمان والمكان، كما ينتفي أي ارتباط بينها وبين مستوى " العلم " والتقدم المادي والحضارة والمدنية والتنظيم... والهدى كله جوهر موحد.. والجاهلية كلها جوهر موحد.. ثم تختلف بعد ذلك الصور والأشكال. ومن هنا ينتفي – في وضوح – أي ارتباط بين الجاهلية وبين " طور " معين من أطوار الإنسان أو أطوار التاريخ!"[20].

القيم الجاهلية لم تتصف بالخصائص والمقومات التى تجعلها واضحة منضبطة متميزة ولكنها تركز على حصول اللذة والمنفعة الدنيوية وتلبية الحاجات المادية والمصالح الفردية؛ لأن المنهج السائد في الغرب يرى أن المجتمع هو الذي يصنع القيم وليس العكس أى أن القيم هي التي تصنع المجتمع ، وهذا ما أبرزه قادة الفكر الجاهلي المعاصر مع أنها في الحقيقة عيوب ونقائص لحقت بالقيم الجاهلية، ولما كان مصدر القيم الجاهلية أرضيا، ولم يكن له علاقة بالوحي والتشريع الإلهي يقتضي طبيعته أن ينبع منه قيم تتميز من القيم الإسلامية والتي لها علاقة بالوحي وبالرسل بعدة خصائص، ويشير الباحث هنا إلى أبرز هذه الخصائص في ما يأتى:

أولا: تحقيق اللذة

يرى الغربيون أن تحقيق اللذة خاصية تميزت بها القيم، فقد كانت اللذة فردية ثم تحولت بعد ذلك إلى تحقيق اللذة لأكبر عدد ممكن من الناس وهو ما يسمى بالمنفعة.

مذهب اللذة على نوعين:

النوع الأول: مذهب اللذة الأنانى ، الذى يرى أن على الفرد أن يبحث عن أقصى قدر من اللذة لنفسه وأن يبتعد ما أمكنه عن الألم.

النوع الثانى: مذهب اللذة العام ، وهو ما يعرف بمذهب المنفعة الذى يستهدف تحقيق اللذة لا للفرد وإنما لأكبر عدد من الناس.

أما مذهب اللذة الأخلاقى الأنانى ، فهو يرى أن الفعل يكون صائبا إذا ما حقق لفاعله أكبر قدر من اللذة ، ولايهم ما قد يحدثه من ألم للآخرين ، ومن ثم فالواجب على كل إنسان تحقيق أقصى قدر من اللذة لنفسه من هذه الحياة، وأن يكون هذا الواجب هو الواجب الوحيد[21].

ثانيا: إشباع الرغبة

يعتبر إشباع الرغبة من خصائص القيم الجاهلى كما صرح به غير واحد من مفكريهم ، يقول سيبنوزا –وهو فيلسوف مادى هولندى يهودى يعتبر من دعاة الإلحاد والتفكير الحر–[22]: إن الإنسان يتبع شهواته، وهذه الشهوة هى ما تنزع الكائن إلى البقاء فى الوجود، ولهذا فإنه يعمل ويبحث عن ما يلائمه وابتغاء النافع، ويحسب أنه حر ويرى أن الخير هو كل ما يسهم فى حفظ جسمه وأن الشر هو كل ما يضاد ذلک. ولهذا فإن الإنسان يحكم بأن هذا الأمر خير لأنه يتطلع إليه ويريده ويشتهيه ويرغب فيه[23].

ثالثا: تلبية الحاجات المادية

يركز الفكر الجاهلى على المادة، ويفسر النشاط الإنسانى بأنه نابع من الجسد ولا اعتناء لها بجوانب الخلقية والروحية، فعنده التجريب هو القاعدة والأساس، وبناء على أن الصفات العليا البشرية لم يكتشفها المعمل فهى إذن لا وجود لها، فتلبية الحاجات المادية ، تعد خاصية من خواص القيم الجاهلية، فالدين والأخلاق، لا وجود لهما فى الإنسان ، لهذا يسعون إلى متعة الجسد المادية وينكرون الجوانب الروحية والخلقية.

وأصبحت المادية هى المعيار والمقياس الوحيد الذى يقيم بها كل شيء بما ذلک الإنسان نفسه وما يتعلق به من أمور حياته ، وبذلک انحلت القيم وانتشرت عبادة المادة فى الغرب ، وتبع ذلک كثرة الانتحار والقتل والسرقة والشذوذ الجنسى ونحوه[24].

وقد اتضح مما سبق أن المادية التى سلكها الغربيون وجعلوها سمة للقيم جرّت على الإنسان الويلات والنكبات وجعلته فى مجتمع موحش. لقد انهارت القيم فى المجتمع الغربى عند ما انفصلت القيم عن الدين وأصبح الخطورة تزداد يوما بعد يوم ، وهذا الانفصال شامل فقد خرجت السياسة عن القيم ثم خرج الاقتصاد عن القيم ثم خرج الجنس عن القيم ولم يبق رصيد من الفضائل ، كل ذلک بسبب الانغماس فى المادة والجرى ورائها فى الجاهلية الحديثة[25].

المبحث الثالث: القيم بين الإسلام والجاهلية وأثرها في الواقع

قد تطرق الباحث في المبحث السابق إلى ذكر خصائص القيم الإسلامية والقيم الجاهلية، ومدار فصل القيم الإسلامية عن القيم الجاهلية هي أن الأولى تستقي من الوحي والإله، والثانية تستقي من البشر والعقول، فهذه القضية هو مفترق الطرق بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية، ثم تتفرع خصائص كل منهما على هذا الأمر.

بعد التأمل في الخصائص المذكورة في المبحث السابق، يتضح الفرق بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية فمن الأمور التي اتضحت في المبحث السابق أن القيم الإسلامية قيم خالدة، بخلاف غيرها، وأنها ملاءمة للفطرة بخلاف القيم الجاهلية حيث لا تلاءمها، وأنها شامل لجميع جوانب الإنسان، بخلاف القيم الجاهلية حيث لا تشمل بعض الجوانب، وأنها تتصف بالقدسية وعلاقة الفرد بالرب، بخلاف القيم الجاهلية حيث لا حرمة لها ولا قدسية، فهذه وغيرها فروق كثيرة تتبين من عرض القيم الإسلامية والقيم الجاهلية.

وهنا يجدر أن يلقي الباحث الضوء على الآثار الملموسة في أرض الواقع للفرق بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية، ولا شك أن هذه الآثار كثيرة، أهمها هي:

أولا: التحرر عن قيد المكان

إن المؤمن الصادق يضع مراعاة القيم السامية في بؤرة اهتمامه في كل مكان، فلا فرق بين البيت، وبين المكتب، ولا يهمه أنه في المسجد أو في السوق، في مكان يشاهده الآخرون أو يكون مع نفسه وحيدا وفريدا، أ هو في بلدته وقريته أم في بلد آخر ومملكة أخرى، بل الذي يبحث عنه هو رضى الله سبحانه وتعالى واجتناب المعاصي والمنكرات أينما هو وأنى يعيش. هذا هو عرض وجيز عن واقع الإنسان المؤمن، الإنسان الذي عنده مبادئ ثابتة ومعتقد راسخ، فهو كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، أو كينبوع جار يستقي الناس من ماءه العذب، ونرى على الجانب الآخر أن المعتقدين بالقيم الغربية لا يهمهم مراعاتها في كل الأمكنة، بل تختلف تلك القيم من مكان إلى مكان، فيراعون تلك القيم في بلادهم أكثر من مراعاتها في بلاد أخرى، حيث إننا نسمع كثيرا من المغتربين بالثقافة الجاهلية أن غير المسلمين يراعون القيم ويلتزمون بها في بلادهم، لكن يختلف هذه القضية عندما تتعلق مراعاة تلك القيم في البلاد الإسلامية، فلا يبالون بقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والمرضى، ويقومون بانتهاك حقوق الإنسان في تلك البلاد، ومما شاهدته بنفسي أنني كنت واقفا أمام طريق المطار أنتظر قدوم أبي من السفر زمن احتلال أفغانستان من قبل الجنود الغربية، فجاءت سيارات المحتلين المصفحة وبدلا من أن تجتاز الطريق عبر التقاطع تسورت الفاصل الأوسط للوصول إلى المطار مباشرة، وداست النباتات تحت عجلات السيارة.

وإلى هذا الأمر يشير لقمان حيث يقول لابنه: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[26].

ثانيا: اطمئنان القلوب

ومن النتائج العملية للفرق بين القيم الجاهلية والقيم الإسلامية أن العمل بالقيم الإسلامية يزيد المسلم طمأنينة، وسكينة ورحمة، فهو يريد ثواب الله الذي لا يضيع عمل عامل، ولا يخلف وعده أبدا ولا ينفد ما عنده، فهذه المعاني تزيد السكون والطمأنينة في قلب المؤمن، ولأجل ذلك يزداد بهجة وسرورا. والقيم الجاهلية تدور على المادة والشهوة والشهرة، والإنسان لا يشبع أبدا منها، بل تفني حياة الإنسان وطاقاته وتزيل عنه الراحة والسكون والطمأنينة، فالقيم الجاهلية لا تستطيع أن تشبع روح الإنسان، وباطنه، لأنها تضع جسم الإنسان وحياته المادية في بؤرة اهتمام، ومركز اعتناءه، بخلاف القيم الإسلامية.

ومن هذا الأمر نفهم حياة غير المسلم المضطربة، حيث لا تجد فيها السكون والسكينة والاطمئنان الروحي، بخلاف حياة المسلم الطيبة، فإنها مليئة بالسكون والاطمئنان، وقد تعجب النبي ﷺ من شأن المؤمن حيث لا تجد في حياته إلا الخير والطمأنينة، يقول عليه السلام: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»[27]. وقد تكفل الله سبحانه وتعالى للمؤمن بالحياة الطيبة، وأن يعطيه السعادة والفوز والطمأنينة حيث يقول: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[28].

وذكر الإمام الرازي وجوها كثيرة لتفضيل عيش المسلم على غير المسلم حيث يقول: "واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه:

الأول: أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه وقدره، وعلم أن مصلحته في ذلك، أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا في الحزن والشقاء.

وثانيها: أن المؤمن أبدا يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلا عن تلك المعارف، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه.

وثالثها: أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، والقلب إذا كان مملوءا من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا، أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءا من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا.

ورابعها: أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها.

وخامسها: أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب ... فعند وصوله إليه يكون أيضا واجب التغير، فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليه ... بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلا عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمعشوقه فعند فوته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده، فهذه وجوه كافية في بيان أن عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر"[29].

ثالثا: الاتزان في القلب والقالب

لا شك أن الإنسان يعيش بالجسم والروح، بالقلب والقالب، بالمادة والمعنى، فكما أن الطائر لا يستطيع الطيران إلا بجناحيه، الإنسان لا يستطيع أن يعيش حياة كاملة إلا بجناحيه، جناح الجسم وجناح الروح، والقيم الجاهلية يركز على الجانب المادي ولا يهتم بالجانب الروحي، فالإنسان تحت ظل هذه القيم يريد أن يطير في السماء بجناح واحد، فالنتيجة أنه يسقط في وسط الطريق، ولأجل ذلك أرقام الانتحار في بلاد غير المسلمين دائما متصاعدة.

وبعد هذا العرض الموجز للنتائج التي تترتب على الفرق بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية نصل إلى أن أغلب المشاكل التي يعاني منها المجتمعات غير المسلمة تعود إلى القيم الجاهلية التي تسود هذه البلاد، ولو أن المجتمعات المسلمة تمسكت بقيمها الإسلامية حق التمسك، والتزمت بها حق الالتزام لفتح الله عليهم بركات السماء والأرض، وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي وصل إليها الباحث من خلال هذا البحث المختصر، هي:

1. القيم لغة تدور حول قيمة الشيء، والثبات والاستمرار والاستقامة والاعتدال.
2. بعد تلخيص المفاهيم الاصطلاحية للقيم وصل الباحث إلى أن القيم هو: محطات ومقاييس دينية أو بشرية نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوؤها وعدم قيمتها وكراهيتها.
3. من خصائص القيم الإسلامية الهامة هي: القدسية، والخلود، والوضوح، والشمول، والملاءمة للفطرة، وغيرها.
4. من خصائص القيم الجاهلية الهامة هي: تحقيق اللذة، وإشباع الرغبة، وتلبية الحاجبات، وغيرها.
5. من النتائج العملية للفرق بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية هي: التحرر عن قيد المكان، واطمئنان القلوب، والاتزان في القلب والقالب.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المصادر والمراجع:

[1]– الإفريقي، مُحَمَّد بن مكرم بن على، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ، باب القاف، (500/12).

Al-Afriki, Muhammad bin Makram bin Ali, The Language of the Arabs, Publisher: Dar Sadir - Beirut, Edition: 1th, 1414 AH, Bab Al-Qaf, (12/500).

[2]– الفيروزآبادي، مُحَمَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة: 1426هـ، باب الكاف، (1152/1).

Al-Firouzabadi, Muhammad bin Yaqub, Al-Qamoos Al-Muhait, Publisher: Est. Al-Risala - Beirut, Edition: 8th, 1426 AH, Bab Al-Kaf, (1/1152).

[3]– الأصفهاني، الحسين بن مُحَمَّد، المفردات في غريب القرآن، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ، كتاب القاف، ص: 690.

- Al-Isfahani, Al-Husayn bin Muhammad, Al-Mufardat fi Gharib al-Qur'an, publisher: Dar al-Qalam - Beirut, edition: Al-Awla, 1412 AH, Kitab al-Qaf, p: 690

[4]– الفيروزآبادي، مُحَمَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، باب الكاف، (1152/1).

- Al-Firouzabadi, Muhammad bin Yaqub, Al-Qamoos Al-Muhait, Chapter Al-Kaf, (1/1152)

[5]– د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي «وآخرون» ، الثقافة الإسلامية: تخصصاً – ومادة – وقسما علميا، الطبعة الأولى 1417 هـ، ص: 14.

Abdullah bin Ibrahim al-Tariqi "and the others", Islamic culture: expertly - wamaada - waqsma ilmia, first edition 1417 AH, p. 14.

[6]– د. صالح بن حميد «وآخرون» ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – ﷺ ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، (1/ 286).

- d. Saleh bin Hamid " and the others ", Encyclopaedia of Nazrah al-Naim fi Makarem Akhlaq al-Rasul al-Karim - may God bless him and grant him peace, publisher: Dar al-Wasila for distribution, fourth edition, (1/286).

[7]– د. حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي، الناشر: عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الأولى: 1977م، ص: 132.

- d. Hamed Zahran, social psychology, publisher: Alam al-Kutub-Cairo, first edition: 1977, p. 132.

[8]– عالم أمريكي شهير، ولد سنة 1876م، حاضر في الفلسفة والأديان الطبيعية في العديد من كبريات الجامعات الأمريكية والفرنسية. (انظر: المانع، مانع بن مُحَمَّد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة الأولى: 1423هـ، ص: 17.

- A famous American scholar, born in 1876, present in philosophy and natural religions in many major American and French universities. (See: Al-Mana', Mana'i bin Muhammad bin Ali, Al-Qayyim bin Islam wal-Gharb, Publisher: Dar Al-Fadila, first edition: 1423 AH, p. 17

[9]– راف بارتن بيري، آفاق القيمة، ترجمة عبد المحسن عاطف، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى: 1968م، ص: 12.

- Raf Bartenberry, Afaq al-Kheem, translated by Abd al-Mohsen Atef, publisher: Al-Nahda Al-Masriyya, first edition: 1968, p. 12

[10]– انظر: بدوي، د. عبد الرحمن ، الأخلاق النظرية، الناشر وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثانية: 1977م، ص: 89.

See: Badavi, D. Abd al-Rahman, Al-Akhlaq al-Nazriya, published by the Kuwait Press Agency, second edition: 1977, p. 89.

[11]– بيومي، د. مُحَمَّد أحمد ، علم اجتماع القيم، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى: 1990م، ص: 77.

- Biomi, d. Muhammad Ahmed, Al-Qayyim's Islamic Society, Publisher: Dar Al-Marfa'a Al-Jama'iyya, first edition: 1990, p. 77.

[12]– بيومي، د. مُحَمَّد أحمد ، علم اجتماع القيم، ص: 80.

- Biomi, d. Mohammad Ahmed, Sociology of Qayyim, p.: 80.

[13]– الكيلاني، د. ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية، الناشر: مزسسة الريان – بيروت، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 338.

- Kilani, D. Majid Arsan, Philosophy of Islamic Education, Publisher: Al-Ryan Institute - Beirut, first edition: 1998, p. 338.

[14]– النيسابوري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، التحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ، كتاب آيات رسول الله ﷺ ، (670/2)، رقم الحديث: 4221.

- Al-Nisaburi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah al-Hakim, al-Mustadrak ali al-Sahiheen, publisher: Dar al-Kutub Al-Elamiya - Beirut, edition: Al-Awla, 1411 AH, Book of Verses of the Messenger of God, peace and blessings be upon him, (2/ 670), hadith number: 4221.

[15]– انظر: الميداني، عبد الرحمن بن حسن حنبكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الناشر: دار البشير– بيروت، الطبعة الرابعة: 1996م، ص: 55–56.

- See: Al-Midani, Abd al-Rahman bin Hasan Hanbakah, Islamic Ethics and Foundations, Publisher: Dar Al-baShir-Beirut, Fourth Edition: 1996, pp. 55-56.

[16]– سورة المائدة، الآية: 8.

Surah Al-Maidah, verse: 8.

[17]– الرازي، مُحَمَّد بن عمر، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة: 1420هـ، (11/ 320).

- Al-Razi, Muhammad bin Umar, Tafsir al-Razi = Al-Mafiyat al-Ghayb or al-Tafsir al-Kabir, publisher: Dar ehiya al-Tarath al-Arabi, third edition: 1420 AH, (11/320).

[18]– سورة الروم، الآية: 30.

- Surah al-Rum, verse: 30.

[19]– انظر مُحَمَّد بن قطب بن إبراهيم، التطور والثبات في الحياة الشرية، الناشر: دار الشروق– القاهرة، الطبعة الخامسة: 1983م، ص: 87.

- See Muhammad bin Qutb bin Ibrahim, Al-Tawaf-e-Wal-Thabat fi Al-Hayat al-Shariya, Publisher: Dar al-Sharouq, Cairo, 5th edition: 1983, p. 87.

[20]– مُحَمَّد بن قطب بن إبراهيم ، جاهلية القرن العشرين ، الناشر: دار الشروق ، الطبعة الأولى: 1408 هـ–1988 م، ص: 17.

- Muhammad bin Qutb bin Ibrahim, Jahiliyyah al-Qarn al-Akhseen, publisher: Dar al-Sharooq, first edition: 1408 AH-1988 AD, p. 17.

[21]– انظر: وليام ليلى ، المدخل إلى علم الأخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق : د. على عبد المعطى مُحَمَّد ، الناشر: دارا المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى: 1991 م، ص: 268–270.

See: William Lilly, Al-Mudkhal Ili Alam Al-Akhlaq, translation, presentation and commentary: D. Ali Abd al-Maati Muhammad, publisher: Dara al-Marfa'a al-Jamaeiya, Alexandria, first edition: 1991, pp. 268-270.

[22]– هو بنيدكت أوبارخ سبينوزا (1632– 1677)، له تأثير قوي في مادية القرنين السابع عشر والثامن عشر ونادى أن غرض الدين ليس فهم الأشياء، بل مجرد المبادئ الأخلاقية السامية، وقد أثنا عليه إنجلز، وله مؤلفات عديدة. انظر: د. عبد المنعم الفنى ، الموسوعة الفلسفية ، الناشر: دار ابن زيدون– بيروت، (237–241) .

- Yanidek Obarkh Sabinoza (1677-1632), had a strong influence on the materialism of the 17th and 18th centuries, and said that the purpose of religion is not the understanding of things, but only the principles of behavior and he has many components. See: d. Abdul Moneim al-Fani, Al-Masua'a al-philosophia, Publisher: Dar Ibn Zaidoon-Beirut, (237-241).

[23]– انظر: ديمون رويه، فلسفة القيم، الترجمة العربية عام: 1960، الناشر: جامعة دمشق، ص: 133.

- See: Damon Rouye, Philosophical Al-Qaim, Arabic Translation: 1960, Publisher: Damascus University, p. 133.

[24]– انظر: مُحَمَّد نجاح شبيب ، الشرائع والأحكام بين الحضارة والانحطاط، الناشر: دار الفكر – سوريا، ص: 136–137.

- See: Mohammad Najah Shabib, laws between civilization and decadence, publisher: Dar al-Fakr - Surya, pp. 136-137.

[25]– انظر: مُحَمَّد قطب ، جاهلية القرن العشرين، ص: 167.

See: Mohammad Qutb, Jahiliyat al-Qarn al-Ashreen, p. 167.

[26]– سورة لقمان، الآية: 16.

- Surah Luqman, verse: 16.

[27]– النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، التحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، باب المؤمن أمره كله خير، (4/ 2295)، رقم الحديث: 2999.

- Al-Nisaburi, Muslim Ibn Al-Hajjaj, Sahih Muslim, Publisher: Dar Ihiya Al-Trath al-Arabi, Bab al-Mu'min Umrah Kahl Khair, (4/2295), hadith number: 2999.

[28]– سورة النحل، الآية: 97.

- Surah Al-Nahl, verse: 97.

[29]– الرازي، مُحَمَّد بن عمر، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (20/ 268).

- Al-Razi, Muhammad Ibn Umar, Tafsir al-Razi = Al-Mafiyat al-Ghayb or al-Tafsir al-Kabir, (20/268).